٥

الرحلة الجغرافية شاهد من شواهد العصر على الكتابة التاريخية (العصر الموحدي انموذجاً)

أ.م.د. وفاء احمد مصطفى

الجامعة العراقية

كلية الآداب

الملخص:

لقد عرف الانسان الرحلة منذ اقدم العصور فهي سمة من سمات التطور الحضاري والتفوق العلمي فكانت الرحلة تأخذ صوراً واشكالاً متعددة منها ماكان لكسب العيش او منها ماكان لتعرف الرحالة على مايحيط بها ومنها ماكان بقصد طلب العلم فظهر مايسمى لنا بأدب الرحلات التي تعني تدوين الرحلة بأخبار البلاد والعباد ووصف مدنهم وأماكنهم فكان هذا النوع من الكتب له دور كبير في حفظ تاريخ الأمة وتراثها إذ أسهمت كتاباتهم في نقل مشاهد متميزة القوا فيها الضوء على مختلف نواحي المدينة في بلاد الغرب الاسلامي في العصر الموحدي فضلا عن عادات وتقاليد السكان الذين التقوا بهم أثناء رحلتهم .

تكمن أهمية الموضوع في الحديث عن ابرز رحالة المغرب الاسلامي الذين عاصروا الدولة الموحدية من خلال التعرف على أسباب رحلتهم واتجاهاتها وقراءة في منهجية أفكارهم من خلال الاحتكاك الحاصل بينهم وبين سكان الغرب الإسلامي ، بتدوين احداث الدولة وقرائتها جغرافيا واقتصادياً وسياسيا ودينياً

اما إشكالية البحث فتندرج بمجموعة من الأسئلة : هي ماهي القيمة التاريخية لكتب الرحالة المغاربة ، وكيف ساهم هؤلاء في حفظ تاريخ الدولة ، وماهي مجالاتهم التي تم التركيز عليها .

وقد تناول البحث مجموعة من المحاور المهمة التي بينت مفهوم الرحلة الجغرافية ، وبيان أسبابها ودوافعها ، وبدايات الكتابة عن الرحلة في المغرب الاسلامي ، ثم عزز البحث بشواهد تاريخية عن ابرز محطات الرحالة الجغرافيين

الكلمات المفتاحية (الموحدي ، الرحلة ، الكتابة ، الجغرافية)

Abstract

The Geographical Journey is a witness of the era on historical (writing (the Almohad era as a model

Man has known the journey since the most ancient times, as it is a feature of the civilizational development and scientific excellence, so the journey took many forms and forms, some of

which were to make a living, or some of them were not for the travelers to know what surrounds them, and some of them were for the purpose of seeking knowledge. He described their cities and places, so this type of books had a great role in preserving the history of the nation and its heritage, as their writings contributed to transmitting distinct scenes in which they shed light on the various aspects of the city in the countries of the Islamic West in the Almohad era, as well as the customs and traditions of the people they met during their journey.

The importance of the topic lies in talking about the most prominent travelers of the Islamic Maghreb who were contemporary with the Almohad state by identifying the reasons for their journey and its directions and reading in the methodology of their ideas through the friction that took place between them and the inhabitants of the Islamic West, by writing down the events of the state and reading them geographically, economically, politically and religiously

As for the research problem, it falls under a set of questions: What is the historical value of the books of Moroccan travelers, and how did they contribute to preserving the history of the state, and what are their fields that have been focused on.

The research dealt with a number of important axes that showed the concept of the geographical journey, its causes and motives, and the beginnings of writing about the journey in the Islamic Maghreb.

Keyword ، Almohad ، journey ، writing ، geography.

المقدمة

لقد عرف لإنسان الرحلة منذ اقدم العصور فهي سمة من سمات التطور الحضاري والتفوق العلمي فكانت الرحلة تاخذ صورا واشكالا متعددة منها ماكان لكسب العيش ومنها ماكان لتعرف الرحالة على مايحيط به من حضـــارة وعمران في الاقاليم التي قصـــدها ، ومنها ماكان بقصـــد طلب العلم فظهر لنا مايســمى بأدب الرحلات التي تعني تدوين الرحالة اخبار البلاد والعباد ووصـف مدنهم واماكنهم فكان هذا النوع من الكتب التي لها دور كبير في حفظ تاريخ الامة وتراثها اذ اســـهمت كتاباتهم في نقل مشـاهد متميزة القوا فيها الضـوء على مختلف نواحي المدينة في الغرب الاســلامي والمشرق فضلا عن عادات وتقاليد السكان الذين التقوا بهم اثناء رحلتهم .

تكمن اهمية الموضـوع في الحديث عن ابرز رحالة المغرب الاسـلامي في العصـر الموحدي من خلال التعرف على اسباب رحلتهم واتجاهاتها وقراءة في منهجية افكارهم من خلال الاحتكاك الحاصل بينهم وبين سكان المغرب والمشرق ، فضلا عن تتبع النشـاط العلمي والثقافي الذي شـهدته الدولة الموحدية بذكر نماذج من رحالة المغرب الاسلامي المعاصرين للدولة والذين كان لهم الفضل في تدوين الاحداث التاريخية من مختلف جهاتها .

اما اشـكالية البحث فتندرج ضـمن مجموعة من الاسـئلة هي كيف سـاهم الرحالة في حفظ تاريخ الامة ، وماهي المجالات التي ركز عليها الرحالة في رحلتهم .

وقد قسـم البحث الى عدة محاور اسـاسـية تناول فيها مفهوم الرحلة ودوافعها وبداية الكتابة عن الرحلة في الغرب الاسلامي ، كما اكد البحث على اعطاء نماذج وشواهد عن محطات الرحالة الجغرافية في بعض الاماكن التي قصدوها .

اولاً : مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا :

تعد الرحلة نوع من انواع التأليف يدون فيها الرحالة جميع ماشاهده من امكنة فيدون وصفه للمسالك والطرق والعادات والتقاليد والظروف المحيطة بالسكان فضلا عن وقائع واحداث المدينة التي يقوم بزيارتها وبذلك يعرض مختلف نواحي الحياة سواء العامة او الخاصة وعليه تعرف الرحلة لغة : الارتحال اي السير يقال دنت رحلتنا ، وارتحل فلان

اي سار وانتقل [١] وقد وردت الرحلة في القران الكريم استنادا الى قوله تعالى " **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** "[٢] والرحالة الكثير الرحلة والرحلة الارتحال وجمعها رحل وهي كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى [٣]

اما اصطلاحاً: فهي قطع للمسافات بين مكان واخر واحتمال مشقة السفر ومواجهة الخطر في البر والبحر بهدف الوصول الى تحقيق الغايات بحيث تهون كل المصاعب في سبيل الهدف الذي تسمو اليه [٤] فالرحلة اذن تكون عبارة عن مشاهد حية مباشرة لجوانب المجتمع اجتماعيا واقتصاديا وجغرافيا اي تتمثل في الاحاطة بكل الجوانب الواقعية التي شاهدها الرحالة خلال رحلتهم اذ ان الرحلة تعتبر مادة غنية تستسقي منها كافة المعلومات ولايمكن الاستغناء عنها باي شكل من الاشكال فهي الاختلاط والحياة مع مختلف الشعوب اضافة الى الاجتهاد في دراسة اخلاقهم وطبائعهم والتحقق في دياناتهم ونظم حكمهم

ثانيا : دوافع الرحلة واسبابها :

تعد الرحلات دافع مهم من دوافع الوحدة الاسلامية فهي مظهر من مظاهر الحياة وحلقة وصل بين المشرق والمغرب منذ القرون الهجرية الاولى ، وقد تعددت دوافع الرحلة واسبابها مابين دينية وسياسية وعلمية وتجارية وجغرافية وكل رحلة من هذه الرحلات كان لها الدور الامثل في تاريخ كل مدينة ومن هذه الدوافع هي :

١- الدافع الديني : يعد الدافع الديني احد الدوافع الاساسية للقيام بالرحلة فالى جانب السعي الى طلب العلم كان الحج من اهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق لزيارة الاماكن المقدسة انطلاقا من قوله تعالى " **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ**

---

[١] ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦، ج١١، ص٢٧٩.

[٢] سورة قريش : اية :١-٢.

[٣] ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ،(د.م :د.ت) ، ج١ ، ص ٣٣٥.

[٤] صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ، ط٢ ، منشأة المعارف ، (الاسكندرية : ١٩٩٩) ، ص١٢.

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ " [٦] كما ان هناك عدة رحلات اخرى عرفت في عهد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منها رحلة ابي ذر الغفاري (ت ٣٢هـ / ٦٥٢م) لفهم تعاليم الدين الاسلامي وقد حدثت في مكة اول البعثة النبوية ، كما وتعد رحلة مصعب بن عمير (ت٣هـ / ٦٢٤م) عقب بيعة العقبة الاولى الى المدينة المنورة مع وفد العقبة ليقرئهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقهم في الدين [١] ولأهمية هذا الدافع فقد حث القران الكريم والسنة النبوية على ضرورة الرحلة والبحث في الاماكن التي خلقها الله سبحانه وتعالى والتأمل في خلقه وهذا ما اكده الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله " لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر ، وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم " [٢]

2- الدافع العلمي : كان الهدف منها اخذ العلم من مختلف الاماكن استناد الى قول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة " [٣] لقد اهتم طلبة العلم منذ القدم بالرحلة العلمية فقطعوا الصحاري والقفار بحثا عن الفائدة العلمية حتى اصبحت الرحلة احد الدوافع الاساسية لاكتساب العلم والمعارف واحد الوسائل لالتقاء العلماء والشيوخ [٣] وقد عرفت الرحلة في بلاد المغرب والاندلس ازدهارا كبيرا بظهور العديد من المدن والحواضر التي كانت تشكل

---

[٦] سورة الحج : اية : ٢٧.

[١] عواطف محمد يوسف النواب ، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، (الرياض : ١٩٦٦) ، ص٤٢.

[٢] ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد الاشبيهيني (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، المستطرف في كل فن مستطرف ، عالم الكتب ، (بيروت : ١٤١٩) ، ج١، ٢٨٧.

[٣] ابي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ، (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) ، رياض الصالحين ، تحقيق ، شعيب الارناؤوط ،مؤسسة الرسالة ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ج ١، ص٣٩١ .

[٣] فؤاد قنديل ، ، ادب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية ، (القاهرة : ٢٠٠٢) ، ص٣٣.

عامل مهم من عوامل الجذب لاهل المشرق [٤] مثل قرطبة * وفاس ** فهي تعد منارات علمية تستقطب العديد من طلبة العلم الوافدين اليها لتعلم مختلف العلوم والمعارف ، فضلا عن تشجيع ولاة الامر للعلم والعلماء اذ حرص سلاطين الموحدين على تمتين علاقاتهم بشكل عام مع اهل المشرق فكانت هناك فرصة لدعم الروابط العلمية والثقافية بين مختلف حواضر المشرق والغرب الاسلامي [٥] اذ اضافت الرحلة على التعليم طابع الترحال الذي ولد رحالة من الفقهاء والعلماء والشعراء كان هدفهم هو المبادلة العلمية وتلاقح الافكار والتعرف على العديد من مصادر العلم ومراجعها بمختلف صنوفها [٦]

2-الدافع الاقتصادي : يعد الدافع الاقتصادي احد الدوافع الرئيسة التي تدفع بالرحالة لاداء رحلته فهو سبب من الاسباب التي دفعتهم الى تدوين مسالك الطرق ووسائل التجارة فكانت الرحلة تقوم برا وعبر الصحاري والبحار وتشمل نقل للسلع والبضائع

---

[٤] عبد الواحد ذنون طه ، الرحلات المتبادلة بين المغرب الاسلامي والمشرق ، دار المدار الاسلامي ، (بيروت : ٢٠٠٥) ، ص ٩٩.

* قرطبة : تقع قرطبة جنوب شبه الجزيرةالايبيرية على ضفاف نهر الوادي الوادي الكبير وهي اعظم مدينة بالاندلس وليس لها في المغرب شبيه . ينظر : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت : ١٩٩٥) ، ج٤، ص٣٢٤.

** فاس : تقع في اقصى شمال شرق المغرب وهي مدينتان كبيرتان يشقهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ، ينظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص١٨٠.

[٥] عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، (الجزائر :٢٠٠٢) ،ج٢، ص٣٢٧.

[٦] نوال عبد الرحمن الشوابكة ، ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، (الاردن : ٢٠٠٨) ، ص٤٠ .

ومختلف الحاجات ، وتعد رحلة ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) من اشهر الرحلات التي عرفت بطابها الاقتصادي والتي بفضلها الف كتابه معجم البلدان [١]

ثالثاً : الرحلة الجغرافية واهميتها :

لقد برع رحالة العرب المسلمون في رحلاتهم المتعددة في كافة المجالات العلمية والجغرافية ولاقت اهتمام خاص من قبلهم ففيها وصفت جهودهم المتعددة في كافة التخصصات التي برعوا فيها في رحلاتهم ومنها الرحلة الجغرافية التي ورثوا فيها خطوات التقدم العلمي والكتابة التاريخية القديمة المشرقية والمغربية فهي مواجهة الانسان للطبيعة ، بمعنى تكشف له الصورة الجغرافية في المكان والزمان فهو يتعايش معها ويتعامل معها ويجني حصاد رحلته بتدوين احداث الزيارة والترحال في ربوع الامصار والاقطار ، فضلا عن رحلة الحج وطلب العلم [٢] لقد كان للرحلة اهمية كبيرة فهي وسيلة من وسائل تدوين الاحداث وتأكيد الوقائع في مختلف المواقع والمدن التي زراها الرحالة وهي مصدر مهم من مصادر التاريخ اذ وثقت وشملت العديد من المعلومات القيمة واعطت صورا مختلفة للبلاد والعباد [٣] ففي ذلك يقول ابن خلدون " فلقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تميز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في المكان " [٤] فظهر العديد من الرحالة الذين قاموا برحلات جغرافية مثل ابن حوقل النصيبي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٩م) الذي بلغت رحلته نحو الثلاثين سنة طاف فيها البلاد من الشرق والغرب قائلا " اني كنت ... شغفا باخبار البلدان والوقوف على حال الامصار كثير الاستعلام والاستخبار

---

[١] سميرة انساعد ، الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري دراسة في النشاة والتطور والبنية ، دار الهداى عين مليلة ، (الجزائر : ٢٠٠٩) ، ص٢٩.

[٢] صلاح الدين علي الشامي ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة ، منشاة المعارف ، (الاسكندرية : ١٩٩٩) ، ص١٤-١٥.

[٣] عواطف محمد يوسف تراب ، ، الرحلات المغربية والاندلسية ، ص٤٠-٤١.

[٤] عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر ، ت (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، تحقيق ، خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ص٧٤٥.

" [٥] لقد عد ابن حوقل من الرحالة الجغرافيين العرب الذين اهتموا بوصف المدن اذ دون وسجل كل ماشاهده بلغة سهلة وسلسلة حتى وصفه كراتشكوسفكي " بانه الخبير الاول بين جغرافي هذه المدرسة " [٦] وكان للرحالة شمس الدين ابو عبد الله المقدسي دور في تدوين الرحلة الجغرافية في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم اذ تكمن من رسم صورة للعالم الاسلامي بشقيه المشرق والمغرب في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قائلاً " وماتم لي جمعه الا بعد جولاتي في البلدان ودخولي اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء " [٧]

لقد كانت الرحلة الجغرافية عبارة عن معين لاينضب من المعلومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية والبشرية ، فهي من اهم الوثائق التي تدون كتابة التاريخ واحداثه من خلال التعرف على احوال المدن والاقاليم وادراك الرحالة لا أحوال المدن واهميتها الجغرافية فضلا عن رحالات الحج وطلب العلم [١]

ويعد الادريسي احد الرحالة الجغرافيين الذين دونوا رحلتهم الجغرافية بمختلف ابعادها اذ اهتم بدراسة مظاهر التاريخ والجغرافية في المغرب والاندلس وزودنا بمعلومات حضارية قيمة عن مدن المغرب والاندلس انطلاقا من مكان اقامته في سبتة * اذ من خلالها جاب

---

[٥] ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ،(٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت : ١٩٧٩) ، ص ٣٢٩.

[٦] يوليانوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح المدين عثمان هاشم ، ط٢، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت ، : ١٩٨٧)، ص ٢٢١.

[٧] ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،(٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، دار صادر ، (بيروت : ١٩٩١)، ص١.

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور واخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ، ط٢ ، مطبعة ذات السلاسل ، (الكويت : ١٩٨٦) ، ص٤٧.

* سبتة : تقع سبتة في اقصى شمال المغرب تطل على البحر الابيض المتوسط الذي يحيط بها من ثلاث جهات وهي مدينة عظيمة حصينة مبنية بالحجارة تشبه المهدية التي بافريقية ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ / ١٨٢.

المشرق والمغرب [٢] وهذه الرحلات اكسبته شهرة واسعة وعلماً عظيماً اذ اهتم الشريف الادريسي (ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) بدقة الوصف عن البلدان التي زارها اذ وصف طرقها وجهاتها وجغرافيتها واوديتها وعجائب بقاعها الجغرافية اذ اعطى وصفاً شاملاً ودقيقا عن المدن التي زارها حتى عد كتابه موسوعة حضارية تضمنت مختلف الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والعسكرية حتى قيل " ان النزهة قد امتازت عن غيرها من المؤلفات الجغرافية التراثية ...بانها تحمل تصورا عاما يشمل الكرة الارضية كلها على ان كل واحد جدير بالوصف والتحقيق المبني على المشاهدة والقياس والمقارنة " [٣] فضلا عن ذلك فقد انتهج الادريسي في رحلته الاسلوب الوصفي من خلال ماذكره لنا في مقدمة كتابه اذ انه اهتم " بوصف احوال البلاد والارضين في خلقها وبقاعها واماكنها وصورها وبحارها وجبالها ومسافاتها ومزدرعاتها وغلاتها " [٤] ورحلة ابن بطوطة التي امتدت لأكثر من خمس وعشرين سنة اذ قام خلالها بثلاث رحلات الاولى زار فيها بلاد المشرق ، والثانية بلاد الاندلس ، والثالثة زار بها بلاد السودان الغربي [٥] وقد رسمت لنا رحلته صورة جلية لكثير من شعوب العالم بداية من بلاد المغرب حتى بلاد الصين اهتم فيها بطبائع الناس وعاداتهم في كل مدينة يتوقف فيها فكتاباته كانت جغرافية دون فيها اعظم دراسة ميدانية عن مختلف الاقطار التي زارها حتى وصفه المستشرق كراتشكوفسكي بانه " اخر رحالة كبير انتظم محيط رحلاته العالم الاسلامي بأجمعه " [٦] كما تميزت الرحلة الجغرافية ايضا بالاهتمام بالعلم والعلماء عن طريق الاتصال بكبار العلماء والفقهاء اذ سعى الرحالة الى مجالستهم والاخذ عنهم مختلف العلوم والمعارف

---

[٢] عبد الرحمن حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، (دمشق : ١٩٨٠) ، ص٣١٦.

[٣] ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتب ، (بيروت : ١٤٠٩م) ، ج١ ، ص٤.

[٤] نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٧.

[٥] فهمي توفيق محمد مقبل ، ماثر العرب المسلمين على الحضارة الاوربية الفكر الجغرافي انموذجا ، جامعة البتراء ، (الاردن : ٢٠٠٩) ، ص٣٧.

[٦] الادب الجغرافي ، ص٣٦.

[٧] فكانت بذلك الرحلة الجغرافية هي المحور الذي تدون فيه مختلف الاحداث التاريخية فكانت الكتابات تتركز حول اهمية المدن والاقاليم ومعرفة طرقها ومسالكها فضلا عن وصفها دينيا واداريا واجتماعيا واقتصاديا فتكون بذلك الصورة شاهد من شواهد الجغرافية على الكتابة التاريخية .

- القيمة التاريخية لكتابات الرحالة العرب :

- تعد الرحلة احد اهم واوسع المجالات التاريخية وهي تعبر عن المشاهد الطبيعية والعمرانية فهي منبع يشمل مختلف المظاهر التي يسعى الى مشاهدتها ونقلها [١] لقد تميزت المنهجية التاريخية لدى الرحالة المسلمين بانها جمعت مختلف العلوم فهي مزجت العلم والادب والتاريخ والجغرافية باحتوائها الكثير من المعلومات الملمة بمختلف احوال الشعوب [٢] لقد اتسم رحالة العرب الجغرافيين بطابع الشمولية في تدوين كتاباتهم اذ تحدثوا عن اثار المدن وقصورها واساطيرها وخرافاتها اي بمعنى انهم وثقوا احوال الناس بمختلف اشكالها [٣] لذلك نجد ان رحالة المغرب والاندلس قد اعتمدوا على نوعين من الكتابة التاريخية الاولى المشاهدة والملاحظة ، والثانية النقل والسماع سواء كان من الكتب او من الناس الذين التقوا بهم من خلال رحلتهم للمدن التي زاروها فدونوعنها التاريخ والجغرافية والعلوم النقلية والدينية وحياة التواصل مع الشعوب المختلفة في دراسة دياناتهم واطباعهم ونظام الحكم لديهم وتشكيل وحدة مقارنة فيما بينهم فالرحلة هي وسيلة استكشاف على الارض وهي سجل لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم اهلها على

---

[٧] محمد بن احمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، دراسة في الادب المغربي في العصر المريني ، دار الثقافة ، (الدار البيضاء : ١٩٨٥) ، ص١٨٣.

[١] حسن محمود حسين ، ادب الرحلات عند العرب ، ط٢ ، دار الاندلس ، (بيروت : ١٩٨٣) ، ص٦.

[٢] نهلة الشقران ، ادب الرحلات في القرن الرابع الهجري ، مراجعة عبد المجيد التركي ، (الاردن :٢٠١٥) ، ص١٦.

[٣] شوقي ضيف ، الرحلات ، دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٨٧) ، ص١٢.

مر العصور [٤] فبعد الفتوحات العربية الاسلامية اولى الامراء الاهتمام بالرحالة وكتاباتهم خاصة الحجاج والتجار منهم فضلا عن اهل العلم اذ اهتموا بمختلف النواحي الجغرافية ، ومن عوامل ازدهار هذا النوع من الكتابة الجغرافية هو اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، فكان الرحالة المسلمين بمثابة الباحثين في حركة التطور الحضاري والتوسع الاقتصادي فهم يسعون دائما الى اكتشاف العديد من المناطق الجديدة في العالم الاسلامي ومنهم الرحالة محمد بن عبد الرحمن بن سليمان القيسي ابو حامد (ت ٥٦٤هـ / ١١٦٨م) ويكنى ابا محمد وابا بكر ويعرف بابي حامد الغرناطي كان كثير الترحال زار صقلية سنة (٥١١هـ / ١١١٧م) ثم مصر ثم بحر الخزر ، وزار عاصمة خوارزم ، ثم توجه الى بغداد سنة (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) مستقرا فيها والف خلال مكوثه بها كتاب المعرب عن عجائب المغرب ، الفه لوزيره يحيى بن محمد بن هبيرة * وله رسالة في الجغرافيا المسماة " تحفة الكبار في اسفار البحار " [٥] ومن الكتب الجغرافية كتاب الاستبصار في عجائب الامصار لرحالة مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وهو مجهول الشخصية اذ لم يبين لنا المؤلف في ثنايا كتابه عن شخصيته سوى انه عاش في عهد يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠- ٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٨م) [٦] وقد نقل لنا صورة تاريخية جغرافية عن وصف العديد من المدن

---

[٤] شاكر خصباك ، الجغرافيا عند العرب المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت : ١٩٨٦) ، ، ص٤٨؛ حسني محمود حسين ، ادب الرحلة عند العرب ، دار الاندلس ، (لبنان: ١٩٩٣) ، ص٦-٧.

* ابو المظفر هو محمد بن يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني ، وهة من كبار الوزراء في الدولة العباسية عالم بالفقه والادب وهو ابن الوزير عون الدين بن هبيرة توفي ببغداد سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ينظر : صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي ، الوفي بالوفيات ، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، تحقيق ، احمد الارناؤوط ، مصطفى تركي ، دار احياء التراث ، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ج٥، ص١٣٠.

[٥] انجل جنثالنث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية ، حسين مؤنس ، مؤسسة الثقافة الدينية ، (القاهرة : ١٩٥٥) ، ص٣١١-٣١٢.

[٦] مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، (ت القرن ٦هـ / ١٢م) ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص ٣.

وحالتها الاقتصادية ومعتقداتها الدينية والاجتماعية فكتابه يحتوي على معلومات تاريخية وجغرافية تعبر عن وصف البيئة الطبيعية والاقليمية للمدن اذ جمع في تدوينه مابين كتب المسالك والممالك ومابين كتب الرحلات الجغرافية فكان يصف البلدان وصفا دقيقا ويصف اهلها بعاداتهم وتقاليدهم ولباسهم ومستواهم العلمي فكان " يجتهد في تسجيل جميع ماراه في طريقه وكل ماسمعه عن البلاد المحيطة " [١]

لقد شكلت الرحلة الجغرافية ميدانا ثقافيا للإنسان من حيث الاختلاط والتواصل مع الشعوب المختلفة ، فهي عبارة عن وسيلة استكشاف ساهمت في تحديد كيان البشر وقد ذكر لنا كراتشكوفسكي ان " شخصيات لامعة كالبكري والادريسي وابن جبير لاتستغرق حلقة مؤلفي المغرب اذ نلتقي الى جانبهم بمصنفات اقل شهرة منهم ولكن لاتخلو احيانا ببعض الصلة بينهم " [٢] هذا يعني انهم اهتموا بمختلف العلوم والتصانيف واهمها كانت الجغرافية اذ شكلت محور دراستهم من جميع النواحي بدليل اهتمام الحميري في كتابه بذكر كل ماله فائدة علمية بوصف المدن والبلدان وكل مايتعلق بها قائلاً " ان يكون معجما جغرافيا تاريخياً جغرافيا يصف الاقطار وماتتميز به وتاريخيا بذكر الاخبار والوقائع المتصلة بتلك البلدان " [٣]

لقد عد الرحالة الجغرافيون اقرب الناس الى وصف الارض باعتبارها محور بارز في كتاباتهم من خلال الافصاح عن كل ما شاهدوه وجمعوه من اخبار في كل الميادين فقد بحثوا في خيراتها ونعمها ومنابع المياه فيها واعطوا صورة علمية تحدد مختلف البواعث للكتابة التاريخية والتي سعى المؤرخون المغاربة الى تظافر الجهود لتدوينها ومن هنا كانت الرحلة الجغرافية طريق الرحالة لارتياد العالم وربطها بالحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية وجعلها وسيلة حتمية يتصف بها مدونو تاريخ الغرب الاسلامي .

---

[١] كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ص ٣٠١.

[٢] المرجع نفسه ، ص٣٠١.

[٣] ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، (ت٧١٠هـ /١٣١٠م) ، تحقيق ، احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت : ١٩٨٠) ، ص٩.

– شواهد تاريخية عن مدونات الرحالة الجغرافيين في العصر الموحدي (ابن جبير – ابن سعيد انموذجا)

شكلت الرحلة الجغرافية في كتابات الرحالة في العصر الموحدي نموذجا يحتذى به في نقل المعلومات المتنوعة سواء كانت بشرية او اقتصادية ، فضلا عن الكتابات الوصفية التي تمثلت في وصف المدن والبلدان التي زاروها فهي تكون عبارة عن التجوال في الارض والرغبة في معرفة الامصار والاقطار والوقوف على ما للبلاد من سمات وخصائص وهذا ما لمسناه في الرحلة الجغرافية اذ كان للرحالة الجغرافيين العرب اهتمام بالاسفار والتجوال في مختلف انحاء العالم وهذه الاسفار مبنية على المشاهدة والتحقق الشخصي وهذا مايزيد من قيمة المعلومات التي يوردونها [٤] ومنهم ابن جبير الاندلسي ولد في سنة (٥٤٠هـ / ١١٤٠م) وهو جغرافي رحالة كاتب وشاعر اندلسي عربي اتم حفظ القران الكريم ودرس علوم الدين وشغف بها وقرر القيام برحلة الحج التي دامت مايقارب السنتين ودون مشاهداته وملاحظاته في يوميات عرفت برحلة ابن جبير [١] وقد عد من اهم مصنفات الرحلة الجغرافية فقد ارخت رحلته للمظاهر الحضارية في المغرب والاندلس اذ احتوت رحلته عن معلومات قيمة وتفاصيل نادرة دون فيها خيرات الارض بحواضرها وبواديها كما عرف مسالكها ونظمها " فهو يمتاز بقوة ملاحظة نافذة " [٢] فقد عرفت رحلته بأسلوبها الجميل الذي اهتم به بوصف العمران في جميع المدن التي زارها في مصر والشام والعراق وشبه

---

[٤] جمال الدين فالح الكيلاني ، الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي دراسة تاريخية ، دار الزنبقة للطباعة والنشر ، (القاهرة :٢٠١٤) ، ص٤٨.

[١] الكيلاني ، المرجع السابق ، ص ٦٤.

[٢] اغناطيوس يوليانوفتنس كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية ، صلاح الدين عثمان ، مراجعة ، ايغور بليايبيف، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧، ج١، ص٣٠٠.

الجزيرة العربية ومدن الاندلس [٣] لقد عرف ابن جبير بفيض رحلته الجغرافية حتى قيل " اذا كانت الرحلات للمشاهدة والملاحظة والدراسة تعبر من عمد العلم الجغرافي فان ابن جبير يحتل عن جدارة مكاناً صدراً في تاريخ الجغرافيا في الاندلس ...كان دقيق الملاحظة في كل ما يتصل بالمظاهر الجغرافية من ارضين وبحار " [٤]

ويذكر ان اول رحلة لابن جبير كان سببها امير الموحدين ، ابا سعيد بن عبد المؤمن ( ) حينما امر ابن جبير ان يكتب له رسالة وهو في حالة سكر فأمره بأن يشاركه شرابه فقال ابن جبير " ياسيدي ما شربتها قط فقال والله لاتشربن منها سبعاً فشربها ابن جبير خوفا من الامير وحتى يأمن شره فقام الامير وملاها بالنقود سبع مرات فكفر ابن جبير عن فعلته بالحج بهذه النقود [٥]

يعد ابن جبير طليعة الرحالة الجغرافيين فقد دامت رحلته مايزيد عن العامين دون فيها جميع ماشاهده في رحلته التي سماها " تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاثار " [٦]

لقد شكلت رحلة ابن جبير صورة ونموذج للرحلة الجغرافية والدينية فقد جمع مابين الدين والجغرافية اذ قام بثلاث رحلات متجهة نحو المشرق العربي الاولى استغرقت عامين وثلاثة اشهر بدأها سنة (٥٧٨هـ / ١١٨٢م) واستمرت الى(٥٨٠ هـ / ١١٨٥م) اما الرحلة الثانية فتوجه الى فلسطين عندما تم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الايوبي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م واستمرت عامين من ٥٨٥ –٥٨٧هـ / ١١٨٩–١١٩١،

---

[٣] احسان عباس ، دراسة في الرحالة ابن جبيرالاندلسي البلنسي الكناني واثاره الشعرية والنثرية ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت : ٢٠٠١) ،ص ٢٤–٢٥.

[٤] حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافين في الاندلس ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة : ١٩٨٦) ، ص ٤٣٨.

[٥] المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق ، احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت : ١٩٩٧) ، ج٢ ، ص٣٨٥–٣٨٦.

[٦] كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ج١ ، ٢٩٩ وقد ذكر ان عنوان الرحلة لم يكن هذا انما اسمها رحلة الكناني نسبة الى القبيلة التي ينتسب اليها ؛ حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص٤٣٠.

اما الرحلة الثالثة فانطلقت من سبتة في عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م وسببها هو الخروج من عزلته بعد وفاة زوجته عاتكة فرحل متنقلا بين مكة وبيت المقدس حيث كان يعلم الناس فيها اصول الشريعة وقد بلغت رحلته الجغرافية فيها مايقارب العشر سنوات [١] لقد قدم ابن جبير وصفا ممتعا لكل ماشاهده في المدن والحواضر التي مر بها وتباين وصفه بين التاريخ والجغرافية كما زخر باللمحات التي تدل على قوة الملاحظة فأول مالفت النظر في رحلته هو دقة تفاصيله واهتمامه بالنواحي العمرانية في الحواضر والمدن التي مر بها فقد وصف منارة الاسكندرية بمصر ، كما وصف القصر الابيض في مسينة بجزيرة صقلية ، وكنيسة الانطاكي ببلارمة في صقلية [٢]

لقد زخرت رحلة ابن جبير بالعديد من المعارف الدينية منها ماهو ديني ومنها ماهو جغرافي وتاريخي وادب واجتماعي اذ قدم صورة متكاملة من خلال وصفه المسجد النبوي اذ يقول " فلاح للناظرين منها اجمل منظر كانها عروس جليت في السندس الاخضر " ثم يكمل وصفه بشكل دقيق اذ يقول " للمدينة المكرمة اربعة ابواب وهي تحت سورين في كل سور باب يقابله اخر الواحد منها كله حديد ويعرف باسمه باب الحديد ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة وهو مغلق ثم باب البقيع" [٣] فضلا عن ذلك فقد عرف عن ابن جبير انتمائه الديني الذي ظهر في عدة مواقف من رحلته فكان عندما يمر باي مدينة يوصفها وصفا كاملا ويدعوا الله بان يحرسها ويعمرها بقوله " عمرها الله او حماها الله " [٤]

اما توجهه الى الاندلس فقد بداها ابن جبير مع صاحبه احمد بن حسان الى الاندلس مغادرا غرناطة سنة (٥٧٨هـ / ١٨٠١م) قصد فيها مكة حاجا ثم مرورا بمدينة الاندلس

---

[١] نوال عبد الرحمن الشوابكة ، ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، دار المامون ، (جامعة ميتشيغان : ٢٠٠٨) ، ص

[٢] ابو الحسين ، محمد بن احمد بن جبير الكناني، رحلة ابن جبير ، (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت : د.ت) ، ص ٦٣. .

[٣] الرحلة ، ص١٤١.

[٤] الرحلة ، ١٨٧-٢١٩-٢٣٠-٢٥٤-٢٧٧.

وصولا الى مدينة جيان * ثم توجه نحو جزيرة طريف اذ عبر البحر الى قصر مصمودة متوجها نحو سبتة ومنها الى الاسكندرية ، وفي مسيرتهم هذه واجه الكثير من الصعوبات والاهوال في البحر وقد استغرقت رحلتهم هذه مايقارب ٣٠ يوما سجل فيها كل مشاهداته ثم توجه نحو القاهرة الذي اعجب كثيرا بمارستانها قائلا" بانه قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعاً " [٥] ثم سارا الى الكوفة وبغداد وسامراء متجها الى دمشق التي دون فيها مشاهداته باسلوب جغرافي بارع ومنها ركب ابن جبير سفينة الى صقلية تعرف فيها على الجزيرة ومحاسنها فصور لنا حضارتها الجغرافية الزاهرة قائلا" طول هذه الجزيرة ... سبعة ايام وعرضها مسيرة خمسة ايام ... وخصب هذه الجزيرة اكثر من ان يوصف وكفى بانها ابنة الاندلس في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهية مشحونة بالارزاق على اختلافها مملؤة بانواع الفاكهة واصنافها " [٦] وقد شدد ابن جبير في رحلته الجغرافية على وصف كل مايخص المدينة سواء كانت خدمات عامة ام خاصة اذ وصف المساجد والحصون والاسوار والابواب والمنازل والشوارع فلم يترك شيئا الا ووثقه باسلوب مميز حتى وصف الاوضاع الاقتصادية للبلاد وخيراتها وبماذا اشتهرت ومنها الاندلس ومكة المكرمة " واما الارزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن ان الاندلس اختص من ذلك له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فالفيناها تغص بالنعم والفواكه كالتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ " [١] وتحدث عن جما جزيرة صقلية بانها " بها من جمال مخبر ومنظر ومراد عيش يانع اخضر عتيقة انيقة مشرقة ومونقة " [٢]

---

* مدينة جيان: تقع في الجزء الشمالي الغربي من الاندلس وهي واحدة من كور الاندلس وتضم اقاليم ومدن عدة وهي شبيها بكورة البيرة في ناحية الجوف شرقي قرطبة ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص١٩٥.

[٥] الرحلة ، ص٢٤.

[٦] الرحلة : ٢٩٦-٢٩٧.

[١] الرحلة ، ص٩٧.

[٢] المصدر نفسه ، ص٣٠٥.

لقد تميزت الكتابة التاريخية لرحلة ابن جبير بالاسلوب الوصفي فضلا عن الاسلوب القصصي اذ اعتمد على سرد الاحداث بصورة مشوقة اذ عمد الى الاقتباس من القران الكريم والاستشهاد بالاشعار فضلا عن ان شخصية الرحالة كانت بارزة في الرحلة اذ ان الرحالة عاش في زمن معروف وهو زمن الدولة الموحدية (٥٤١-٦٦٨هـ / ١١٤١-١٢٦٩ م) كما تميزت كتابته بالموضوعية اذ جسد فيها التاريخ والجغرافية بمختلف اشكاله من خلال وصفه للمجتمعات والمدن التي زارها على اختلاف اصولها وعروقها كما وضح ابن جبير وضع المغرب والاندلس وتحدث عن طابع الاستقرار والامن وطريقة المعاملات داخل الدولة فضلا عن وصفه مدن المشرق واحوالها والتطور الحاصل فيها .

-ابن سعيد المغربي (٦١٠-٦٨٥هـ / ١٢١٤-١٢٨٦م)

هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحسن المدلجي [٣] من اهل غرناطة يكنى ابا الحسن ويعرف بابن سعيد [٤] ولد بقلعة يحصب * قرب غرناطة سنة ٥٣٧هـ / ١٨٣١م وتعد اسرته من الاسر المرموقة التي ادت دورا كبيرا في تاريخ الاندلس السياسي والثقافي خاصة في عهد دولة الموحدين ، اذ تولى محمد بن عبد الملك بن سعيد والد موسى اعمال غرناطة التي لم يمكث بها طويلا اذ رحل الى اشبيلية لانه كان على اتصال دائم مع خلفاء الدولة الموحدية [٥]

---

[٣] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ،(ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع المكتبة العصرية ، (لبنان : د.ت) ، ج٢ ، ص ٢٠٩ .

[٤] ابن فرحون ، برهان الدين ابراهيم بن علي ، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) ، تحقيق ، مامون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٩٦) ، ج١ ، ص ٢٠٨-٢٠٩.

* قلعة يحصب : وتسمى قلعة بني سعيد وتعرف بقلعة اسطلير نسبة الى عين كانت موجودة بهذا الاسم ، المقري ، نفح الطيب ، ج٢، ص ٣٣٠ .

[٥] المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص٢٧٢.

- رحلته الجغرافية :

لقد اتسم ابن سعيد بالعديد من الصفات التي جعلته مميزا في عصره فقد جمع مابين الرحلة والجغرافية والتأليف وهذا ما وضح من خلال رحلته الجغرافية التي جاب بها المشرق والمغرب وعاصر فيها من العديد من الاحداث التاريخية اذ عرف عن ابن سعيد التنوع في الكتابة وطريقة التأليف اذ جمع مابين الجغرافية والتاريخ والادب وهذا ما انتقيناه من رحلته اذ ركزنا فيها على الجغرافية منها والدليل على ذلك هو تأليفه كتاب اسماه الجغرافيا ركز فيه على العديد من النواحي الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية للعديد من المدن التي زارها ، وكتابه بسط الارض في الطول والعرض الذ الفه بتونس عندما حل ضيفا عند ابو العباس التيفاشي وهو مشابه لمؤلف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق [١] فضلا عن العديد من مؤلفاته التي كانت شاهد عصر على ماقام به ابن سعيد من تدوين لوضع الامم واحوالها وتاريخها منها ماهو موجود ومنها ماهو بحكم المفقود .

اما رحلته الجغرافية فقد بدأها ابن سعيد سنة ٦٣٨هـ / ١٢٣٨م بعد ذهاب امير الموحدين رفقة والده موسى بن سعيد لإداء فريضة الحج ونزل بتونس لكنه لم يستقر فقرر الرحيل الى المشرق [٢] قاصدا الاسكندرية سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ثم توجه الى القاهرة وبقي فيها الى حين وفاة والده بالإسكندرية سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م فقفل راجعا اليها [٣] بعدها عاد مرة اخرى الى القاهرة ومنها الى حلب [٤] ثم توجه الى دمشق ثم الى الموصل وبغداد سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م بعدها وصل الى الحجاز لاداء فريضة الحج وقد استغرقت رحلته هذه مايقارب ١٥ عاما [٥] ثم واصل رحلته عائدا الى تونس

---

[١] ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد، الجغرافيا ، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، تحقيق ، اسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٧٠) ، ص٧-٩؛ ٢٤.

[٢] حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص٤٧١.

[٣] بالنثيا انجل ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٤٤

[٤] المقري ، نفح الطيب ، ج٢، ص٢٧٣.

[٥] المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٧٣؛ بالنثيا ،تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٢٤٤.

سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م اذ حل ضيفا عند الامير عبد الله المستنصر الحفصي الذي اكرم وفادته لكن الدسائس والمؤامرات كانت تحاك حوله اذ بلغ من الامران الامير منعه من الخروج من مملكته ، الى ان تم الصلح بينهما فانطلق ليكمل رحلته نحو بلاد ايران وارمينيا وخراسان لكن ابن سعيد هنا لم يذكر التفاصيل الدقيقة لهذه البلاد وانما نقل ما شاهده ودونه من معلومات تنوعت ما بين الجغرافية و الدين والسياسة والاقتصاد [٦]

تميزت رحلة ابن سعيد الجغرافية بسلامة الوصف ودقة التعبير وغزارة المادة اذ استطاع ان يحدد الاقاليم والمدن المعروفة عند المسلمين كما تعرف على مظاهرها الطبيعية والعمرانية وعلى عاداتها وتقاليدها اذ اكسبته رحلته الجغرافية خبرة فريدة في التأليف في علم الجغرافيا كما عرف عنه التنوع في التاليف اذ دون المعلومات الجغرافية والتاريخية والادبية معتمدا على المشاهدة والرواية والمؤلفات اذ دون كل مايتعلق بالمدن التي زارها من حيث وصف المدينة جغرافيا وعمرانيا وحضاريا وحتى ثقافيا بتدوينه شخصيات مشاهير الرجال الذي التقى بهم وعاصرهم ، فضلا عن اعتماده على المصنفات الجغرافية التي استسقى منها العديد من المعلومات الجغرافية كالادريسي الذي اعتمد على تقسيماته في عدد من مصنفاته الجغرافية ، وقد بقي ابن سعيد في تونس الى حين وفاته سنة (٦٨٥هـ / ١٢٨٥م) [٧]

– خصائص الكتابة التاريخية وتأثيرها على الرحلة الجغرافية :

كانت الرحلة الجغرافية وماتزال هي احدى وسائل الاتصال بين البشر وذلك لاهميتها بدراسة المظاهر الحضارية على اختلاف اشكالها ، فالرحالة الجغرافي يعطي صورة واضحة ودقيقة عن مختلف مظاهر الحياة بفعل ماشاهده او سمع عنه [١]

---

[٦] ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص١٢– ١٣.

[٧] ابن سعيد ،الجغرافيا ، ص١٣ ؛ محمد جابر الانصاري ، المغرب والمشرق في اثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت : ١٩٩٢) ، ص١٥٣.

[١] حسني ، ادب الرحلة عند العرب ، ص٦–٧.

1- عرفت الرحلة الجغرافية ازدهارا واسعا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حيث شكلت نقطة تحول علمية عملت على ازدهار الكتابة التاريخية والجغرافية اذ وصلت الجغرافية العربية مرحلة القمة كما مثلت الشخصية الحقيقية للجغرافية العربية الاصلية ونتيجة اتساع الدولة العربية الاسلامية فقد استفاد الرحالة من رحلاتهم بالتعرف على شبكة الطرق والمواصلات ووسائل توفر السبل والعيش فيها [٢]

١ تميزت المؤلفات الجغرافية بالدقة والامانة العلمية ، فكتب الرحلات الجغرافية احتوت على معلومات تاريخية مهمة جسدت الاوضاع السياسية والجغرافية والادبية وحملت بين ثناياها الماضي والحاضر بوصفها لشتى البلاد الاسلامية من بيئة جغرافية وثروة اقتصادية متنوعة والجغرافية ذات علاقة وثيقة بالتاريخ الذي هو عبارة عن تسجيل الاحداث الخاصة بالإنسان في زمن معين وبيئة معينة [٣]

٢ شكلت الكتابة التاريخية محور الفكر الحضاري والجغرافي للرحالة الذي كان يعتبر بمثابة مسجل للحدث لان التاريخ هو عبارة عن حوادث واحداث وهو على حد قول حسين مؤنس " ان التاريخ هو الزمان " [٤]

٣ تميزت الرحلة الجغرافية في كتابات ابن سعيد المغربي على التقسيم التقليدي للأقاليم فاثبت الاقاليم السبعة المعروفة لدى الجغرافيين العرب ، ثم اوضح منهجيته في كتابه الجغرافية قائلاً " متى ذكر بلد في علم الجغرافية ترسم صورته ثم يذكر من حيوانه ونباته ومدنه ما يتركب من ذلك الى مايتعلق بوصف الانهار والمنتزهات " [٥] فكان كتابه مصدرا مهما من المصادر الجغرافية التي نقل عنها مؤرخي التاريخ الاسلامي كالقلقشندي في كتابه صبح الاعشى ، وابن خلدون في كتابه العبر ، والمقري في كتابه

---

[٢] خصباك ، الجغرافيا عند العرب ، ص١١.

[٣] سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصر الاستقلال (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ، منشاة المعرف ، (الاسكندرية : ١٩٩٣) ،ج١ ، ص٥١.

[٤] التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٨٤) ، ص ٢٢.

[٥] ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين) ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ص ص١١٥-١١٦.

نفح الطيب وذلك لاهمية المعلومات التي يتضمنها والتي تعطي صورة صادقة عن واقع وتاريخ العالم الاسلامي .

٤ نستنتج من هذا ان الرحلة الجغرافية تعد اقرب ميدان من ميادين الرحالة يفصحون بها عن كل ماتم مشاهدته وتدوينه وجمعه من اخبار وماتوصلوا اليه من استنتاجات عكست فيها الواقع العلمي والديني والتاريخي ، لذلك حرصوا على تقصي الحقائق والمعلومات من مختلف الامصار وقد ساعدهم على ذلك اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية .

الخاتمة

١- تاثرت الكتابة التاريخية بالفترة التي عاشها المؤرخ وبداياته العلمية وظروف العصر الذي نشأ فيه .

٢-تمتع كل من ابن جبير وابن سعيد بثقافة واسعة اكتسبوها من رحلاتهم الجغرافية وتعدد مصادرهم مما اثر بشكل مباشر على كتاباتهم التاريخية في زمن الدولة الموحدية .

٣-مثل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عصر الكتابة التاريخية في المغرب والاندلس اذ احدثت تميز في جميع المستويات العلمية ومنها كانت الرحلة الجغرافية .

٤-رسمت الرحلة الجغرافية صورة التطور الحضاري الذي حصل في كثير من المدن اذ نقل لنا الرحالة الصورة في ادق تفاصيلها عن المدن التي زاروها .

٥- اعطت الرحلة العلمية وصفا علميا لعدد من المعالم الحضارية بفضل وصولهم الى اماكن بعيدة ومجهولة يمكن في بعض الاحيان الوصول لها .

٦- على الرغم ماتميز به هؤلاء الرحالة في رحلاتهم الا ان الجانب الديني كان واضحا فيها اذ اهتموا بإداء فريضة الحج . فدونوا ابرز المعالم والاماكن الدينية التي قصدوها والمظاهر الحضارية فيها .

المصادر والمراجع

- القران الكريم

١-ابن جبير ،محمد بن احمد بن جبير الكناني ، رحلة ابن جبير، (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، دار مكتبة الهلال ، (بيروت : د.ت) .
٢-الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان(بيروت: ١٩٧٩).
٣-ابن سعيد، أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت : ١٩٧٠).
٤-السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، تحقيق ، ابو الفضل ابراهيم ، مطابع عيسى البابي وشركاه ،(دمشق : ١٩٦٥).
٥-. الاشبهيني ، ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد ، رياض الصالحين ، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) تحقيق ، شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ،(بيروت :١٩٩٨).
٦-الصفدي، صلاح الدين بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي،(بيروت: ٢٠٠٠).
٧-ابن فرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٩٩٦).
٨-المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت : ١٩٨٦).
٩-ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) لسان العرب ، دار صادر(بيروت : ١٩٥٦) .
١٠- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق، محمد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد : ١٩٨٦).

11- ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر،(بيروت: ١٩٥٥).

١١- ابراهيم مصطفى ، واخرون ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، د.م ، (د.ت) .

١٢- انساعد ، سميرة ، الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية ، دار الهدى ،(الجزائر : ٢٠٠٩) ، ص٢٩.

١٣- بالنثيا ، انجل جنثالث ، تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس ، مؤسسة الثقافة الدينية (القاهرة : ١٩٥٥)

١٤- حسين ، حسني محمود ، ادب الرحلة عند العرب ، دار الاندلس ،(لبنان : ١٩٩٣) .

١٥- حميدة ، عبد الرحمن ، اعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر العربي ، (دمشق : ١٩٨٠) .

١٦- خصباك ، شاكر ، الجغرافيا عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،(بيروت : ١٩٨٦)

١٧- سعيدوني ، ناصر الدين ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت : ١٩٩٨)

١٨- الشامي ، صلاح الدين ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ، منشاة المعارف ، (الاسكندرية : ١٩٩٣)

١٩- الشقران ، نهلة ، ادب الرحلات في القرن الرابع الهجري ، مراجعة عبد المجيد التركي ، (الاردن : ٢٠١٥) .

٢٠- شقرون ، محمد بن احمد ، مظاهر الثقافة المغربية ، دراسة في الادب المغربي في العصر المريني ، دار الثقافة ، (دار البيضاء : ١٩٨٥) .

٢١- الشوابكة ، نوال عبد الرحمن ، ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، (الاردن : ٢٠٠٨).

٢٢- ضيف ، شوقي ، الرحلات ، دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٨٧) .

٢٣- طه ، عبد الواحد ذنون ، الرحلات المتبادلة بين المغرب الاسلامي والمشرق ، دار المدار الاسلامي ، (بيروت : ٢٠٠٢).

٢٤- عبد الحميد ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصر الاستقلال ، منشأة المعارف ، (مصر : ٢٠٠٠).

٢٥- عباس ، احسان ، دراسة في الرحالة ابن جبير الاندلسي البلنسي الكناني واثاره الشعرية والنثرية ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت : ٢٠٠١).

٢٦- فيلالي ، عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، (الجزائر : ٢٠٠٢).

٢٧- قنديل ، فؤاد ، ادب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية ، (القاهرة : ٢٠٠٠).

٢٨- الكيلاني ، جمال الدين فالح ، الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي دراسة تاريخية ، دار الزنبقة للطباعة والنشر ، (القاهرة : ٢٠١٤).

٢٩- مقبل ، فهمي توفيق محمد ، ماثر العرب المسلمين على الحضارة الاوربية الفكر الجغرافي انموذجا ، جامعة البتراء (الاردن : ٢٠٠٩) .

٣٠- مؤنس ، حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة : ١٩٨٦) .

٣١- النواب ، عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين ، دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الفهد الوطنية ، (الرياض : ١٩٦٦) .

٣٢- الانصاري ، محمد جابر ، المغرب والمشرق في اثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت : ١٩٩٢)